الذي ولد في قرطبة سنة ١١٣٥ م وبلغ شأنه في درس اللاهوت وسائر العلوم المعروفة يومئذ عند اليهود وكان يحضر ايضاً بعد ذلك على اساتذة العرب ويكب على الدرس والتحصيل حتى بلغ من الحكمة شأواً بعيداً وصيتاً ذائعاً فلقبوه بموسى الثاني وافلاطون اليهود وكان كل اجتهاده ان يوفق بين الفلسفة المشائية والاسفار المقدسة وان يحمل الطلبة على اخضاع ابحاثهم لاحكام العقل وفي ايامه كان انقراض الدولة الاموية بالاندلس وعلى اثر انقراضها اصابت الشدة اليهود ففرّ الى مصر واتصل بصلاح الدين وصار طبيبهُ

وفي اواخر القرن الخامس عشر سنة ١٤٩٢ م طرد اليهود من بلاد اسبانيا فاضمحلت بطردهم الفلسفة اليهودية على ان اليهود كأمة او كجمعية دينية لم تشغل في تاريخ الفلسفة المكان الاول وانما كان لها الحل الثاني ومع ذلك فقد شارك اليهود العرب بالفخر اذ حفظا معاً العلم والفلسفة في عصر كانت اوربا فيهِ تائهة في ظلمات الجهالة

م - ن

الارادة

" لو ارتفقت السموات والارض على رجل تحركت ارادتهُ لفلقهما ووجد من بينهما مخرجا "

ما من طائفة اختل امرها وضل سعيها حتى اخذتها الرجفة وركبها الهول واصبحت خاوية كأن لم تغن بالامس الاَّ وقد خبت من قبل زناد اختيارها وتراخت عزيمتها

وما من امة تقوض مجدها وتل عرشها وبادت سكانها والتزعت اركانها واصبحت لا ترى الاَّ مساكنها الاَّ وقد خمدت همتها وماتت ارادتها فتقاعدت عن المهمات وتربعت الصدفات وقالت انَّا ههنا قاعدون حتى يأتي الله بفتح من عندهِ

تلك حقائق راهنة في المدنية لا تتغير ومبادئ ثابتة في العمران لا تتبدل وسنَّة من سنن الله ولن تجد لسنة الله تحويلاً

وكأني بالقارئ يسأل عن ماهية الارادة لا يعرف لها معنىً ولا يدرك لها كنهاً لما رسخ في ذهنهِ وطبع على قلبهِ من ان " الانسان مسيَّر لا اختيار لهُ يمضي على حكم القضا وتجاري القدر " . نعم ان الانسان يجري على احكام القضاء الاَّ ان الله هداه النجدين العقل والهدى واودع فيهِ قوة تشرك العقل في امرها ألا وهي الارادة حيز الهمة والعزم ومعهد الحرية ومقيل القوة والمروءة وموطن الغيرة والحمية ومبيت الانفة والاباء ومقام الاقدام والشهامة

فالارادة ايها القارئ الكريم خطة ثالثة لروح تحدو بامرهِ الى مطالب العقل وقد يعرض

فما هوى النفس ان تكسرت شوكتها وضعفت قوتها فيغلبها عما عليه فما الحكمة والواجب . وثمت الطمعة الكبرى والبلية العظمى . وهي غريزية في الانسان تبقى خامدة جامدة اذا لم يسع وراء تحريكها وتشهيتها تزداد قوة ورقياً كما تعاهدها المرء بالعمل . فاجهد اذاً ايها الرجل في تربية الارادة حتى لا تدع غلبك للهوى سبيلاً فتكون الغالب على زمام امرك ويكون السلطان لك عليك وعلى نفسك وجسمك وعواطفك وافكارك واعمالك وحياتك فتحيا حراً سعيداً تحت زعامة العقل والحكمة والواجب والوجدان . وليس مطلب اعلى كعباً واشرف شأواً من هذا للانسان . ألا وان الحياة بالعمل ان خيراً فخير وان شراً فشر وليس للانسان الا ما سعى

وربّي الارادة بالران والمعالجة وهذان مثالان نذكرهما في معرض الحديث : اذا اتيت مائدة الطعام واتيت على ما اتيت من المآكل حتى كفيت وبلغت حد التخمة ثم جيء باطعمة فدعاك باعث اللذة واشتغل العقل وحكم بضررها فاصرف حينئذٍ عنك النفس ورغبتها واللذة وعواملها . واذا قضيت نهارك في متاعب الاشغال حتى كلّت اعصابك ثم عنّ ان تمثل « دمعة الباكي » مساء فدعاك داعي الشوق اليها فاضرب عنها صفحاً واطو كشحاً وخل السبيل لراحة جسمك وراحة عقلك . هاتان مزاولتان للارادة في صغير الامور تعتاد بهما على عمل الارادة في عظيم المهام وكبير الاعمال كأن يؤتى اليك بالذهب وانت عامل على الحدود لتكن العدو من الاستيلاء عليها فيجيش فيك عاملان عامل الهوى للذهب وعامل العقل للواجب فان استقرت فيك الارادة تبعت الواجب وعارضت الذهب وفجعت وفجع الوطن . واعلم ان صرف النفس عن اللذات صعب تناوله حرج تداركه لان مطالبها جاذبة عذبة لطيفة حبيبة الا على الذين اضاءت عقولهم وكبرت همهم ونفخت فيهم الانفة حتى تشعشعت ارادتهم وتوقدت عزيمتهم فاولئك قوامون على انفسهم واولئك هم المفلحون

واعني بالارادة تلك النزعة التي ان قرت بعد هدى من الحكمة والعقل لا تزعزعها عواصف الشهوات ولا تزيلها اهواء الملذات . والارادة ان تغلبت النفس على جانب منها استحكم فيها التردد ومن اعتوره التردد اظلت عليه حالة وساء مآله . وقد قيل "وان فساد الرأي ان تتردد" . واعلم ان التردد موقفة في العمل مجبلة للفشل ان ركز عليه الفرد بطلت ارادته واضمحلت عزيمته واصبح في معترك الحياة

كريشة في مهب الريح ساقطة لا تستقرّ على حال من القلق

او كسفينة فقدت دفتها في بحر هاجت مياهه تسير ولا تدري اين يسار بها تسير على حكم

الرياح حتى تأذن الامواج بابتلاعها . والويل كل الويل ان اصاب التودد رجال الادارة فتقلع اوتاد الملك بعد ان يمكّن لها في الارض وتتبدل الارض غير الارض لان الارادة والعزيمة صفتان ضروريتان لمن عهد اليهِ قيادة جيش او ادارة ولاية او تسيير امة . وقد قال سنكا الفيلسوف الروماني " لا سيادة ان لم تسند الارادة "

ويظهر لك شأن الارادة ان القيت بنصرك على الرجال العظام كسقراط وزينون وده كارت وقنط وابي حنيفة وابن ادريس وابن تيمية وصلاح الدين وموتسكيو ونابوليون ومبسمرورومو وبسمارك ومن شابههم فتعلم انهم لم يكبروا ولم يطاولوا السماء الاّ بارادتهم

قال دوس رأس مجلس الامة في فرنسا البارحة واحد اعضائهِ اليوم ان كل رجال السيادة والقيادة كانوا من ذوي الارادة . ولقد اصاب في قولهِ فهذا ابو بكر وعمر وخالد بن الوليد ونابوليون وغلادستون وبسمارك وروزفلت تمثال الارادة ورجال العزيمة مع ان نابوليون قد رجع القهقرى حتى غلبت عليهِ ارادة بلوخر ووللنكتون . ولو طبعت ارادة هذين الرجلين على اقل وطأة من ارادة نابوليون لكان الغلب لهُ يوم وترلو . وليس هذا بالحدس او الوهم ولكنهُ المنطق الصراح فان جنود الانكليز كادت تقع في قبضة الاسر لو لم تستفز وللنكتون ارادتهُ فثبت بجيشهِ حتى المساء وكذلك جنود الالمان فانها كادت تنهزم شر هزيمة امام نابوليون

الاّ ان بلوخر اراد ان تكون الغلبة لهُ فسعى كما اراد وقصد الى وترلو فاجتمع الجمعان فضعفت ارادة نابوليون امام تينك الارادتين اللتين لا مطمع فيهما . وفي التاريخ دلائل اعظم من هذه برهاناً يرجع اليها من خامرتهُ الريبة في شأن الارادة

واعلم ان الامم التي يهوى عرشها في عهدنا لم تفتقد رجال العقل والذكاء بل انما تفتقد اولئك الرجال رجال الارادة فان العقل والذكاء يكادان ان يكونا بمثابة واحدة في كل جيل وقبيل بخلاف الارادة فانها تختلف باختلاف الطبائع فيختلف معها النجاح في الحياة الدنيا ان هي سقطت من الامة سقط النجاح وان نهضت فيها نهضت حتى انها لتحسن للفرد باكثر مما تحسن لهُ الثروة والغنى . فاضرب لك مثلاً رجلين احدهما ذو يسار والآخر ذو ارادة فعمل كلاهما في امر الاّ ان الثاني كان رجلاً همّاً يتتبع الوسائط ويريد النجاح والاول يعتمد على وفرة مالهِ ولا يعمل العزيمة فيخسأ الاول لا محالة ويفوز الثاني فوزاً مبيناً فالارادة اذاً اس النجاح قال حكيم عربي " كم من حياة سببها التعرض للموت " فأخذهُ اديب اسحق وقال " رب حياة تكون في طلب الموت "

هذا اثر الارادة في السعادة واما اثرها في الاخلاق ففي الامارة بكل ضبع حميد والنهي عن كل خلق ذميم حتى انها رسخت في النفس ركنت الى مكارم الشيم الثبات والاقدام وحب الواجب وحب الخير ومعاطفة الشرف والمروءة والحمية والابا وكل ما كرم من الاخلاق وجل. فهي ام الفضائل ونبوع الفضل ومطلع الاسعاد ومشرق الحياة النفسية تنبذ عن المرء كل خلة دنيئة وان تأصلت وكل سجية وان تمكنت وكل خبيثة وان تملكت حتى يخلص من النوائب والمصائب فيحيا حياة هنيئة انوارها شهية متداناً لا تقيده العواطف ولا تقوده الاميال حاكماً على امره لا تزاحم يد قديمة حيث تدعوه نفسه وتجاذبه قدمه كصخرة لا يزعزعها تيار الهواء ولا تدفعها من مكانها تجاري الماء الا اذا اضطرب امرها ولم تستقر حالها على شيء فتقلب ظهراً لبطن وبطناً لظهر حتى يودي بها

وكيف يضار الجد والجسم وادع ... وكيف ينال المجد والعزم فاتر

فلا ترقى اذاً المرء قبل ان تترقى فيه الارادة فتصغر حياته وتزرق اوقاته. وقد حقق ذلك الفاضل فردريك بإسي فقال في بحث له بالمجلة الافرنسية "ان صلحت الارادة ذهب البؤس بأسره" وهذا حق لما قدمنا من ان الارادة تنفي كل دنية وسفيه وتبعث الى كل عظيم وكريم. وغير خافٍ ان السذاجة والسفاهة متى تمكنت من المرء وقامت مكانهما الحنوة والعفة فقد ذهب عنه البؤس وطابت له السعادة

وكما ان للارادة اثرا في الاخلاق فلها الاثر الذي لا عفاء معه على الامراض لان الارادة كما اشرنا وطن الصحة والصحة شعلة من شعل الحياة تحرق كل جرثومة دائها الاذى وتميت كل نسمة طبعها البلاهة حتى تتقد صاخرة في دوران الدم والعكس بالعكس ان تراخت شكيمة الارادة فضعف الثبات والاقدام. ومتى ضعف الاقدام مدت يدها الاوهام ومتى استحكمت ضعف يتمكن الامراض من الجسم وقادت عليه بالفناء والاضمحلال. الا وان المصيبة تتضاءل من خلف بعضها. وعلى الصحة العوام امثلة من ذلك مضحكات لكنها جديرة بالاعتبار سيما قولهم "لا تأتي المصيبة الا على رأس الاقرع" والذين ملبوا على الارادة في عبارتهم رسمن حسين يؤيد ذلك ما روي عن غيتي الشاعر الالماني يوم دهمته الحمى فتغلب عليها بارادته حتى مرق نجا من فعلتها وقد قال "للارادة اثر عظيم على الامراض تنتشر في الجسم وتبلغ فيه نشاطاً يصرف عنه ضرر العاديات" يحاكي هذا قول بوسويه الذي اشتهرت مراثيه ولا سيما مراثي هنرييت "للارادة سلطان قوي على الجسم ترمي به الى عظيم الساعات" وثبت ان نيوتن جيلبرت كان شاهداً من سلامة الممرضات والاطباء الذين يلازمون

المستشفيات ريكادون يقضون حياتهم بين ظهراني جراثيم الامراض ولا تسهم ادنى بلية كل ذلك بسبب الارادة التي فولاها لاخطفتهم نسم الموت وكانوا في عداد الاموات

تبين لنا ان الارادة تدرأ الامراض عن الجسم فهل لها اثر في الشفاء ؟ نعم ذلك لا ريب فيه وقد مثلت هذا الانباء حتى انها لتسرع بمداواة من رسخت ارادتهُ وتوثقت عريتهُ كأنها تقول من قصد وجد ومن سعد وكيف لا تنمي الارادة وهي قوة من قوى الانسان الخاكمة على جسمهِ فكم من المقعدين عشيهم الخوف في فرشهم فارادوا النجاة وخفوا الى الركض سالمين من القعاد وكم من المكبوبين في بيروت لعبت بهم النار فاستحوذ عليهم الرعب من هول الموت فطلبوا السلامة وهضوا من فرشهم راكضين . وقد قيل ان بعض الزمنى ذهب يوم الاحد الى حيث يقيم صلاتهُ فسمع صحيح الخوف بين الناس فتساءل القوم فقيل فرَّ اسد من مجمع الحيوان واتى الجوار فسارعوا وازدحموا للهرب وبقي المصاب وحيدًا ترجف فرائصهُ حتى اضطرمت ارادتهُ واحتركت عزيمتهُ فاشتدَّ عصبهُ وذهب مرضهُ وطلب النجاة كما طلبوا فلما ذهب الروع واطمأن الناس على انفسهم رجعوا فوجدوا الزمين قد تسلق مكانًا عليًّا في نافذة من النوافذ لا يدرون كيف بلغهُ فراموا انزالهُ فعز عليهم حتى انزلوهُ بعد جهد جهيد

وقيل ان رجلاً ضعفت اعصاب لسانهِ حتى تعذر عليهِ الانصاح فعمد طبيبهُ الى اختراع آلة تشفيهِ فاشرأبت نفس المريض اليها وايقن ان بها الدواء حتى لم يكد يستطيع صبرًا فلما اعدها الطبيب طار لبهُ مسرة لرغبتهِ في الشفاء فاخذ الطبيب في العمل ووضع ميزان الحرارة في فم الرجل ليعلم درجة الحرارة فهو فظن المريض ان الميزان هو الآلة المقصودة بالذات فاشتد فرحهُ واجتمعت قوى ارادتهِ في الشفاء حتى صاح فصيحًا شفيتُ فشكرًا ايها الطبيب نبهت الذين نعموهُ

هذا ولا تكاد تنتهي اعاجيب الارادة بحيث لا يبالغ ان قلنا المستحيل مستحيل ولا نشطُّ في كلمتي بدأت بها هذه السطور وهي

" لو ارتتقت السموات والارض على رجل لفتقها ووجد من بينها مخرجًا "

بيروت عبد الغني العريسي